

فاعلية النص القصصي ودوره في تكوين شخصية الطفل الجزائري

مرحلة رياض الأطفال أنموذجا - دراسة تحليلية وصفية -

*The effectiveness of the anecdotal text and its role in the formation of the Algerian child's personality
Kindergarten stage model - descriptive analytical study -*

وردة حلاسي*

جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة

(الجزائر)

hallaci.warda@univ-guelma.dz

تاريخ القبول: ٢٠٢٢/٠١/٢٣ النشر: ٢٠٢٤/٠١/٢٢

تاريخ الاستلام: ٢٠٢١/٠٧/٠٧

ملخص:

نظرا للمكانة الكبيرة التي تحتلها القصة في حياة الطفل، تبحث هذه الدراسة في مدى فعالية النص القصصي الموجه للطفل في الجزائر في تكوين شخصية الطفل في مرحلة رياض الأطفال؟، والهدف من ذلك هو البحث عن القصص والمواضيع، التي يمكنها أن تلعب دورا مهما في تنشئة الطفل من نواح مختلفة: اجتماعية، نفسية، تعليمية، أخلاقية...، وتكمن أهمية البحث في معرفة مدى فاعلية القصة، كأداة لتكوين طفل الروضة، ونظرا لطبيعة الدراسة تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على آليتي الوصف والتحليل، وذلك من خلال اعتماد استبيان كأداة لتجميع البيانات.

وتوصلت الدراسة إلى أنَّ مرحلة الروضة مرحلة أساسية في العملية التربوية، والأطفال في هذه المرحلة يريدون أن يعرفوا قصصاً عن الحياة والبيئة المحيطة بهم، ويشتدُّ ميلهم إلى المحاكاة والتقليد ولعب الأدوار.

الكلمات المفتاحية: فاعلية ؛ قصة ؛ رياض أطفال ؛ تكوين ؛ شخصية.

Abstract:

Given the great place that the story occupies in a child's life, this study examines the effectiveness of the story text directed at the child in Algeria in the formation of the child's personality in kindergarten?, the aim is to search for stories and topics, which can play an important role in the upbringing of the child in various ways: social, psychological, educational, moral...

The importance of research lies in knowing the effectiveness of the story, as a tool for the formation of a kindergarten child, and due to the nature of the study, the descriptive analytical approach, based on the mechanisms of description and analysis, was adopted through the adoption of a questionnaire as a data collection tool.

The study found that kindergarten is an essential stage in the educational process, and children at this stage want to know stories about life and the environments around them, and their tendency to emulate, imitate and play roles intensifies.

KeyWords: Effectiveness; Story; Kindergartens; configuration; personality.

المقدمة:

حبُّ الأطفال للقصص أمر شائع ومعروف، لأنها تتماشى مع خصائصهم، وترضي دوافعهم وتشبع حاجاتهم، وتخفف من توتراتهم، وتعود بهم إلى حالة التوازن النفسي وتساعدهم على التعرف على الحياة بأسلوب شائق فريد، ونظر للتأثير الطّاعني للقصّة على الأطفال، فقد اعتُبرت من أهمّ الوسائل فاعليّة في تكوين شخصية الطّفل بما تهيّئ له من فرص للنّمو في مختلف الجوانب.

والقصّة بما تحتويه من مضمون خلقي، أو اجتماعي توجّه الأطفال توجيهها غير مباشرٍ تقبله النّفس ولا تمّله، الأمر الذي ينظّم تفكيرهم ويزوّدهم بالمعلومات والقيم الاجتماعية، والأخلاقية، والتربوية، ويصلهم بركب الثقافة والحضارة من حولهم في إطار مشوّق ممتع وبأسلوب سهل جميل. وهي فضلا عن ذلك تلعب دوراً في تقديم الخبرات الأولى للاستماع والقراءة والتذوق الفنّي والجمالي للطفّل، بالإضافة إلى أنّها أداة هامة من أدوات التثقيف والترفيه، التي يمكن أن تساهم مساهمة فعالة في تفتيح عقل الطّفل. وترجع أهميّة القصّة لطفّل ما قبل المدرسة (مرحلة رياض الأطفال)، إلى أنّها وسيلة من وسائل المعرفة التي تستخدمها الرّوضة في مجال تنشئة الطّفل وغرس القيم الإيجابية المرغوب فيها لديه، بالتّضافر مع الأدوات والطّرق التربويّة الأخرى التي تستخدم في رياض الأطفال.

وقد أجمعت العديد من الدّراسات على أنّ الاستماع إلى القصص يُسهم في تنمية المفاهيم البيئية والرياضية والاجتماعية والتربوية، وزيادة الحصيلة اللّغويّة للطفّل. كما أنّ التّشاط القصصي يكسب أطفال الرّوضة بعض السلوكيات الصحيّة المرتبطة بالنّظافة والترتيب، كما يكسبهم مهارات اجتماعية وعقليّة ولغويّة وفنية، وينمي لديهم خيال الإبداع والابتكار، ونظراً للدور الكبير الذي تلعبه القصّة الموجهة للطفّل في مرحلة الحضّنة، يقف هذا البحث عند الإشكالية الآتية: ما مدى فعالية النص القصصي الموجه للطفّل في الجزائر في تكوين شخصية الطفل في مرحلة رياض الأطفال؟.

وقد تضمّنت هذه الإشكالية بدورها عدّة تساؤلات كالآتي:

- ما هي علاقة الطفل بالقصة؟.
 - كيف تسهم القصة في تكوين شخصية الطفل؟.
 - متى بدأ الفن القصصي الموجه للطفل في الجزائر؟.
 - ما هي القصص والموضوعات التي يركز عليها معلمي رياض الأطفال؟، ومدى استجابة الأطفال لها؟.
- وللإجابة على الإشكالية المطروحة وتساؤلاتها، اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، في تصوير النتائج المتوصل إليها بصورة رقمية يمكن تفسيرها، وقد بلغ المجتمع الأصلي للعينة - التي رأينا أنّها تخدم الدراسة - ٥٠ معلّمة لأطفال ما قبل المدرسة/مرحلة الروضة. وللوصول إلى نتائج دقيقة وصحيحة اعتمدنا على وسائل جمع البيانات المعروفة من: استبيان ومقابلة وملاحظة، للإلمام بكل جوانب الظاهرة المدروسة.

I. تحديد مفاهيم الدراسة:

١. الطفل والقصة:

١,١ الطفولة: المفهوم والمراحل:

جاء في لسان العرب لابن منظور "الطُفْلُ والطُفْلَةُ: الصغيران، والطُفْلُ الصغير من كل شيء بَيِّن... الطُفُولَةُ والجمع أَطْفَالٌ، لا يكسر على غير ذلك، وقال أبو الهيثم: الصَّبِيُّ يُدْعَى طُفْلاً حِينَ يَسْقُطُ من بطن أمه إلى أن يحتلم" (منظور، ١٩٨٨)، وجاء في القاموس المحيط «الطُفْلُ بالكسر، الصَّغِير من كل شيء أو المولود» (آبادي، (دت)).

وهذا يعني أنَّ الطفولة هي المرحلة العمرية للإنسان تبدأ من الولادة وتمتد حتى المراهقة، مصداقاً لقوله تعالى: ((وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)) (النور، الآية ٥٩)، وكذلك لقوله تعالى: ((ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ)) (الحج، الآية ٥). فالكائن البشري يمر بمراحل مختلفة من سن الولادة حتى يصير رجلاً وشيخاً لقوله تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)) (الروم، الآية ٥٤).

وانطلاقاً من هذه التحددات لمراحل الطُفولة بحسب ما جاء بها الإسلام، قسم علماء النفس أمثال: بياجيه وعبد الرحمان العيسوي الطُفولة إلى خمس (٠٥) مراحل هي:

١,١,١. مرحلة المهد (الطُفولة الأولى): وتبدأ من الولادة حتى نهاية العام الثالث.

١,١,٢. مرحلة الطُفولة المبكرة (الطُفولة الثانية): أو طفل ما قبل المدرسة أو طفل الروضة من ثلاثة سنوات إلى ستة سنوات.

١,١,٣. مرحلة الطُفولة المتوسطة (الطُفولة الثالثة): من ستة سنوات (٠٦) إلى تسع سنوات (٠٩).

١,١,٤. مرحلة الطُفولة المتأخرة: وتمتد بين سن التاسعة (٠٩) إلى الثانية عشر (١٢).

١,١,٥. مرحلة المراهقة أو مرحلة المثالية: وتبدأ من سن الثالثة عشر (١٣) فما فوق (الريماوي، ٢٠٠٣).

ومن خلال هذه التصنيفات والتحددات لمراحل الطُفولة، نتوقف عند مرحلة الطُفولة المبكرة، أو الطُفولة الثانية، أو مرحلة الخيال الدّاتي والمحدود كما يسمّيها علماء النفس، أي طفل ما قبل المدرسة، أو طفل الروضة، والتي تبدأ من ثلاثة سنوات (٠٣) وتمتد حتى ستة (٠٦) سنوات؛ لاستجلاء أهم خصائصها، ومن ثم ربطها بأدب القصّة للوصول إلى أسلوب أمثل لكتابة القصّة وطريقة تقديمها للطفل. فمعرفة المميّزات والسّمات العامّة التي تحكم مراحل الطُفولة تساعد الكاتب في الوصول إلى ما يريده الأطفال.

٢. القصة وخصائص مرحلة الطُفولة المبكرة:

تسمّى هذه المرحلة أيضاً بمرحلة الخيال الدّاتي والمحدودة، وأيضاً مرحلة طفل ما قبل المدرسة وطفل الروضة، كما أطلق عليها بعض المربين اسم: مرحلة خيال الوهم، ودعاها بعضهم مرحلة السؤال، وسمّاها بياجيه (PIAGET) بمرحلة الخيال الحدسي، وتشمل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث (٠٣) وستة (٠٦) سنوات، وهي مرحلة تعتبر من أخطر المراحل في حياة الإنسان ككل والطفل خاصة؛ إذ تلعب الدور الأكبر في تنمية شخصياتهم وفي غرس القيم

عندهم، ومن أهم مراحل النمو العقلي والنفسي والفكري للطفل، تظهر فيها قدرة الطفل على تعلّم القراءة من خلال اهتمامه بالكلمات والصور، وفي هذه المرحلة يتقبل الطفل بشغف على القصص التي تتحدّث فيها الحيوانات والطيور، ويتحدّث فيها الجماد بالإضافة إلى شغفه بالقصص الخرافية والخيالية (سلام، ٢٠٠٤). والطفل في هذه المرحلة (مرحلة الطفولة المبكرة) له خصائص مميزة تتمثل في الآتي:

- التطور السريع في اللغة، والاهتمام بموسيقى الكلمات، ومن ثم تعجبه القصص والأغاني ذات الأوزان الموسيقية.
- الطور الواقعي المحدود بالبيئة الذي يمر به الطفل في هذه المرحلة يجعله - الطفل - يشعر باللذة وهو يسمع الجمل التي تشركه في القصة، وذلك باستعمال أسماء يعرفها، واستخدام الملموسات وغيرها من الحواس، لأنّها توضّح الصور في ذهنه.

- النشاط المتواصل للطفل في هذه المرحلة، وقصر مدى الانتباه عنده، وعليه فمن الضروري أن تكون قصص هذه المرحلة قصيرة، تُحكى له في جلسة واحدة، وتكون أحداثها سريعة التتابع.

- اهتمامات الأطفال وسلوكياتهم في هذه المرحلة تدلّ على حبّهم لأنفسهم، ولذلك فهم يحبّون القصص، التي تؤكد ذواتهم، ويستمتعون أكثر عند استبدال أسماء شخصيات القصة بأسمائهم.

- الأطفال في هذه المرحلة يستوعبون أكثر القصص ذات الفكرة الواحدة والتصور الواحد.

- يتطلّع الطفل في هذه المرحلة إلى معرفة العالم الذي يعيش فيه؛ وإلى اختبار البيئة المحيطة به، ومن أجل ذلك فهو يحبّ القصص التي تدور حول الخبرات والتجارب اليومية، أو الشخصيات البشرية المألوفة لديه، أو الحيوانات الأليفة المفضّلة عنده، أو اللعب التي يلعب بها، أو الأشخاص القريبين منه، على أن تكون لهذه الشخصيات صفات جسميّة ولونيّة سهلة الإدراك للتعرف عليها بسهولة، لأنّ إعطاء هذه الشخصيات صفات الحركة، والتكلم والشكل واللون، فيه إشباع لرغبة الطفل في حبّ المعرفة والاستطلاع.

- يميل الطفل في هذه المرحلة إلى الاعتقاد الوهمي، يأخذ خياله المحدود بيئته في النّمّو تدريجيّاً، ويستمتع بالألعاب التخيليّة، كأن يتوهّم ذراع الكرسيّ حصاناً يمتطيه، والدّمى أطفالاً مثله يحدثهم ويخاصمهم، وهو لذلك يعجب بالقصص الخياليّة.

- ينشد الطفل في هذه المرحلة الأمان والدفع العاطفي في علاقته بالكبار، ومن أجل ذلك، فهو يودّ أن يكون قريباً من الوالدين، أو الروضة وقت حكاية القصة، والقصة التي تحكيها الأم، أو المربيّة للطفل عند النوم، وهي قريبة منه تبدأ بها خبرة الطفل بالأدب في المنزل، ومن ثم يتحمّس أن يسودها العدل، وأن تكون نهايتها سعيدة.

وأكثر أهميّة من كلّ النقاط السالف ذكرها، هي الراحة، التي تقدمها القصة المختارة بحكمة لأطفال هذه المرحلة، ذلك أنّهم حين يقارنون أنفسهم بشخصيات القصة، يدركوا أنّهم ليسوا وحدهم الذين يخافون، أو يتألّمون، أو يصيبهم القلق والجزع (حلاوة، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣).

٣. الموضوعات القصصية الموجهة للأطفال في الجزائر:

إن المتتبع لأدب الأطفال في الجزائر يجد أن أغلبه يصب في قالب واحد وهو القالب القصصي، لما له من روافد تراثية وحكايات شعبية، ظلت الذاكرة الإنسانية ترويها من جيل إلى جيل، فتعددت بذلك أنواعها وتنوعت مواضيعها... وذلك بحسب مقدرة كل كاتب على كتابة هذا الجنس الأدبي الموجه للطفل، ويمكن تتبع نشأة النص القصصي الموجه للطفل في الجزائر من خلال مرحلتين:

٣. ١. مرحلة ما قبل الاستقلال:

لم تظهر القصة المكتوبة للأطفال في الجزائر في هذه المرحلة، كجنس أدبي قائم بذاته، لظروف ولأسباب لعل أهمها، أن الاهتمام بالطفل في تلك الفترة وبأدبه يتطلب عناية كبرى من نواحي كثيرة، صحية ونفسية وتربوية، وهي لم تكن متوفرة بشكر لائق في تلك الفترة، لأن الأطفال كانوا من بين الضحايا الذين عانوا ويلات الاستعمار الفرنسي في الجزائر، كما أن الحركة الأدبية في المغرب العربي عامة، والجزائر خاصة قد تأخرت عن نظيرتها في المشرق العربي. كما أن الكتاب كانوا منشغلين بالقصة المكتوبة للكبار، فقد كان همهم الأكبر هو التحسيس والتنوير والتوعية وتهذيب النفوس، وعليه فـ "القصة المكتوبة للأطفال لم تظهر وتتطور، إلا في المجتمعات التي شهدت تطور وازدهار فن القصة بشكل عام" (جلولي، ٢٠٠٣)، ولعل القصة الوحيدة التي كتبت في تلك الفترة هي قصة "مغامرات كليب" لمحمد الصالح رمضان، والتي عدّها عبد الملك مرتاض قصة من أدب الأطفال (مرتاض، ١٩٨٣).

٣. ٢. مرحلة ما بعد الاستقلال:

بعد الاستقلال بدأت في الجزائر نهضة جديدة، حيث انتشر التعليم وانتعشت الحركة الأدبية، إلا أن أدب الأطفال عامة والقصة خاصة لا نستطيع تحديد فترة زمنية لظهورها في هذه الفترة؛ "لأنّ معالم هذا الأدب الموجه للطفل لم تتضح بعد صوره جلية في بلادنا، وتعتبر فترة السبعينيات تقريباً البداية الأولى لظهور القصة الموجهة للطفل في الجزائر، ففي سنة ١٩٧٢ نشرت الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سلسلة قصصية بعنوان "سلسلة أب كاستور"، علماً بأن هذه القصص نفسها أعيد طبعها في منتصف الثمانينيات ضمن سلسلة "رياض الأطفال"، دون الإشارة لمؤلفيها، وقد مرّت القصة المكتوبة للأطفال في الجزائر بعد الاستقلال بمرحلتين هما:

– **مرحلة الاعتماد على الإنتاج الأجنبي:** وفيها كانت الجزائر تعتمد اعتماداً كلياً في ثقافة أطفالها على ما تنتجه البلدان العربية وغير العربية.

– **مرحلة ظهور القصص الجزائرية المكتوبة للأطفال:** وتبدأ هذه المرحلة من أوائل الثمانينات وتستمر إلى الآن. ومن الأسباب التي أدت إلى ظهور القصة المكتوبة للأطفال في العالم العربي والجزائري خاصة:

– تزايد الاهتمام العالمي بالأطفال خصوصاً في القرن العشرين، الذي أطلق عليه "العصر الذهبي للطفل"، وهو القرن الذي صدرت فيه عدّة موثيقات دولية تنص على الاهتمام بالطفل، كالإعلان العالمي لحقوق الطفل في ١٩٢٤ وقد كانت الجزائر من المشاركين بفاعلية في هذه الموثيقات خاصة ميثاق ١٩٩٢ م.

- تزايد عدد المواليد من الأطفال إذ أن نسبة عدد الأطفال بالنسبة إلى مجموعة السكان في الجزائر ٥٣,٣% الأمر الذي يستوجب الاهتمام المتزايد بهم.

- تزايد الاهتمام بتربية الطفل وتعليمية عبر مختلف مراحله، بدءاً من التعليم التحضيري (حضانة ورياض الأطفال) والتعليم الأساسي...

- إحساس الكثير من الأدباء بحاجة الكتابة للأطفال، ليس في مجال القصة وحده بل وفي مجالات أخرى كالشعر والمسرح... كواسيني الأعرج، وعبد الحميد بن هدوقة، وأحمد منور وجيلالي خلاص، ومحمد دحو... وغيرهم (جلولي، ٢٠٠٣).

والمتبع للقصة المكتوبة للأطفال في الجزائر، يجد أنها قد عاجلت مواضيع معينة وأغفلت أخرى، وحسبنا هنا أن نشير إلى أهم القصص التي كتبها كتّاب القصة للطفل تدور في معظمها حول القصص التاريخية، القصص الاجتماعية، القصص العلمية، القصص الدينية، قصص الجن والخوارق، قصص الرأي والحيلة، قصص المغامرات... وتندرج كذلك ضمن هذا النوع قصص رعاة البقر، ومغامرات الأطفال والأحداث الغامضة والألغاز.

وفيما يخص الموضوعات التي عاجلتها القصة المكتوبة للأطفال بصفة عامة، وللاطفال في مرحلة "رياض الأطفال" بصفة خاصة، نشير إلى أنه من الصعب حصر جميع الموضوعات القصصية الموجهة للطفل في الجزائر، نتيجة لتعدد واختلافها من حيث الهدف والتقسيم والتصنيف، ولقد أمكن لنا حصر ما يربو عن أربعين (٤٠) نوعاً من تلك المواضيع، ندرج في هذا الصدد بنوع من التوسع خمس (٥٠) مواضيع قصصية، تم التركيز عليها في مرحلة الطفولة المبكرة (مرحلة رياض الأطفال)، وذلك بحسب المعلومات التي قدّمت لنا من قبل معلمات الروضة عن أهم المواضيع المقربة للطفل والمحبة لديه، وهذه الموضوعات كالتالي:

أ- المواضيع الفكاهية:

يعتمد هذا النوع من القصص على الفكاهة والمواقف الطريفة المضحكة، وهي بذلك تعمل على توفير جو من المتعة والسرور في الطفل، وتغلف نفسيته بالفرح والتفاؤل والنظرة الإيجابية للحياة، وتمدّه بطاقة الأمل (الأسعد، ٢٠٠٣)، وقد مثل هذا النوع قصة "جحّا في المدرسة" للكاتبة أمنة شلي، وهي: قصة تهدف إلى غرس حبّ المدرسة والتعلم في نفوس الأطفال، صاغها الكاتبة في قالب قصصي فكاهي، انطلاقاً من شخصية جحا.

ب- المواضيع التمثيلية:

لهذا النوع من القصص تأثير كبير على الأطفال، فهو يطلق العنان لأحلامهم وطاقتهم من خلال تمثيلهم لدور الأب، أو الأم، أو المعلمة، أو دور الطبيب... فالطفل يتفاعل مع عناصر المحيط الذي يعيش فيه، ويكتسب بعض عاداته وقيمه وأفكاره واتجاهاته، ومن هنا يحاول وفي سن مبكرة تجسيد تلك المكتسبات من خلال تمثيلها. وقد جسّد هذا النوع قصة "بشرى المعلمة" للكاتبة القصصية ربيعة جلولي، وهي قصة فتاة صغيرة تدعى بشرى، أرادت في يوم من الأيام أن تلعب وتمثل دور المعلمة مع أصدقائها.

وما يلاحظ على هذه القصة أنها جمعت بين نوعين من أنواع قصص الأطفال، فجاءت تمثيلية تعليمية في آن واحد، وهي في عمومها تهدف إلى إبراز ضرورة التعاون وذلك من خلال تعاون الحيوانات في جمع وتهيئة الوسائل في القسم، ومثل هذه القصة تعمل على تقريب أطفال الروضة من بعضهم البعض، وتقدم صورة مشرقة لمستقبل العلاقات بينهم، كذلك تهدف إلى غرض تعليمي، حيث يتعرف الطفل من خلال هذه القصة على أسماء الوسائل الموجودة في القسم وهي بهذا تعلمهم بعض المفاهيم، كمفهوم ترتيب الأشياء ومفهوم السرعة والحركة... وغيرها وكذلك تبرز هذه القصة أهمية التحفيز في القسم لبعث روح المثابرة والتنافس بين الأطفال، أو التلاميذ وقد استعمل أسلوب التمثيل في القصة من أولها إلى آخرها لتقريب الفكرة وتسهيل استيعابها لدى الطفل.

ج -المواضيع الشعبية:

وهي مواضيع تؤدي وظيفة التسلية والإمتاع، وتعتبر "قصة سندريلا" خير مثال على هذا النوع. وقصة "سندريلا" هذه واحدة من أحلى القصص العالمية الشعبية الكثيرة الزواج، والتي تلقى استحسان كل الأطفال، حيث تجسد لنا عاطفة الحب الطاهرة والمثلى، من خلال فوز الأمير بقلب الفتاة الجميلة، فيتزوجان ويعيشان في سعادة وهناء، كذلك تجسد لنا إحدى الجوانب السلبية في الإنسان، ألا وهي الأنانية والكراهة والغيرة حين فضلت زوجة الأب ابنتها على الفتاة اليتيمة سندريلا. والقصة في مجملها تهدف إلى نبذ التحاسد والتباغض والغيرة المذمومة بين أفراد المجتمع الواحد والأسرة الواحدة، وإبدال هذه القيم السالبة بقيم موجبة توطد العلاقات بين الناس وتحفظ لهم أمنهم وسلامتهم، وقد طُرح كل هذا في قالب فني يفهمه الطفل ويتسللى بمضمونه.

د-المواضيع الخيالية:

القصص الخيالية نوع من القصص يعزى إلى عصور سابقة، تقوم على افتراض شخصيات وأعمال خارقة لا وجود لها في عالم الواقع، ومن أمثال هذا النوع "حكايات ألف ليلة وليلة"، ومن القصص الخيالية التي أقبل عليها الأطفال في مرحلة رياض الأطفال حسب ما جاء في إجابة المعلمات بالروضة: قصة الأميرة المسحورة، البستان العجيب، ذات الشعر الذهبي، القبة الحمراء، أو ليلي والذئب، أو ذات الرداء الأحمر...، والتي تخاطب عقل الطفل وخياله وعواطفه وتتنوع فيها مشاعرهم بين الفرح والحزن، الرضا والغضب... وعلى العموم فهذا النوع من القصص يهدف إلى غرس المبادئ الفاضلة والأخلاق السامية والقيم الرفيعة، فهي تنمي خيال الطفل، لأنها عادة ما تنتهي بمشكلة فيتحيل حلاً منطقياً لها، أو تكون قصة ناقصة وعلى الطفل أن يبتكر نهاية مناسبة لها.

ومن خلال النهاية الطيبة في هذه القصص والانتصار يتعلم الطفل معنى إحقاق الحق وانتصار الخير، وبهذا فهي تساعدهم على اكتشاف المعنى العميق للحياة، فيتعرّف على قوى الخير وقوى الشر، فيختار الأولى ويحارب الثانية ليخرج منها منتصراً. وهنا تبرز أهمية القصص الخيالية ووظيفتها في مساعدة الطفل على نمو التعامل الفكري مع الحياة ووقائعها.

هـ - مواضيع الحيوان:

الأطفال مولعون بقصص الحيوان، لأنهم يتقمصون شخصياتها، ويقيمون صدقات معها وترتبطهم بها علاقات وجدانية؛ لأنها أقرب إلى نفوسهم، كما أن علاقات الأطفال الاجتماعية محدودة في نطاق الأسرة والجيران، وتكمل الحيوانات في قصص الأطفال هذه الخبرات الناقصة عند الأطفال، ويربط الأطفال كثيراً بين سلوكهم وبين سلوك زملائهم. وقد أثبتت التجارب الإحصائية، إقبال الأطفال على قصص الحيوان، أكثر من إقبالهم على قصص الفكاهة والتاريخ، واهتمام الأطفال الشديد بالحيوانات وحُبها، يرجع إلى كون هذه الأخيرة - الحيوانات - تمثيل عنصر هام في عالم الطفل وفي ألعابه، وتختلف صورة الحيوان في القصص فيكون صديقاً مساعداً للإنسان، أو عدواً له، وتكون أعماله حقيقية كإعارة القطة لصغارها وبناء العصفور عشه، أو خيالية كقيام الأسد بدور الملك والشعوب بدور المكار.

وقد مثّل هذا النوع من قصصنا قصة "السلحفاة الحمقاء" للكاتب مصطفى الغماري، وهي قصة تروي حكاية سلحفاة تنكرت لطبيعتها، وأخذت بنصائح صديقها الأرنب، الذي لم يكن ينظر إلى الأمور بعين العاقل، فنصحها بالتخلي عن درعها الذي يحميها، لأنه سبب ثقلها وبطئ مشيتها، فقررت السلحفاة عند عودتها إلى البيت نزع الدرع من فوق ظهرها، فأعجبت بجمالها وخفتها، ولكن مع مرور الأيام وقدم فصل الشتاء ببرودته القاسية وأمطاره الغزيرة وثلوجه المتراكمة، أدركت أن درعها نعمة الله التي لم تشعر بقيمتها إلا عند فقدانها.

والعبرة من هذه القصة؛ أنه لا بد للإنسان أن يرضى بما خلق الله له، ولا يغير من شكله، أو مشيته، أو طبعه بل يجب أن يحسن من أخلاقه، وأن يهذب من عاداته وفقاً لما يأمره ربه به وينهاه عنه.

II. الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية:

١. منهج الدراسة:

فرضت هذه الدراسة اعتماد منهجاً علمياً يقوم على آليتين، فكان المنهج الوصفي التحليلي، الذي حاولنا من خلاله وصف الموضوع من جانبه المعرفي والمفاهيمي، وتحليل ما ورد من نتائج، بإتباع منهجية علمية دقيقة وصحيحة، وتصوير النتائج المتوصل إليها بصورة رقمية يمكن تفسيرها، فالمنهج الوصفي طريقة من طرق التحليل، والذي يركز على معلومات دقيقة وكافية عن موضوع معين خلال مدة زمنية معينة، وغرضه الحصول على نتائج علمية مفسرة بطريقة موضوعية بما يتلاءم ومعطيات الواقع.

٢. مجتمع الدراسة/ عينة الدراسة:

ارتكزت عينة الدراسة في هذا البحث على ٥٠ معلمة لأطفال ما قبل المدرسة، أي مرحلة رياض الأطفال، باعتبارها المرحلة، التي يتم فيها خلق بيئة مناسبة، تؤهل الطفل بالتعرف على العالم الخارجي بعيداً عن المنزل والأسرة. كما ارتكزت على نسبة من أطفال هذه المرحلة، لكونهم يخدمون موضوع البحث.

٣. المجال المكاني والزمني للدراسة:

تمت الدراسة الميدانية المتعلقة بالكشف عن مدى فاعلية النص القصصي ودوره في تكوين شخصية الطفل الجزائري، في "روضة البلدية" لولاية قلمة، وروضة "ابن باديس". حيث استغرق الجانب الميداني منها حوالي الشهر، وذلك ابتداء من ضبط أسئلة استمارة الاستبيان إلى أيام توزيعه، وقد تم استرجاع جميع الاستمارات.

٤. أدوات جمع البيانات:

لتحقيق أهداف الدراسة قمنا بتوزيع استبيان على عدد من معلمات رياض الأطفال، اللاتي بلغ عددهن ٥٠، وقد تمّ توزيع الاستبانة في يوم واحد وذلك بتاريخ ١٠ / ٠٤ / ٢٠١٩، ثم استلامها شخصيا من يد المبحوثات يوم ١٠ / ٠٥ / ٢٠١٩، دون ضياع أية استمارة.

٥. النتائج العامة للدراسة الميدانية: بين العرض والقراءة والتحليل والمناقشة.

– **الجدول رقم ١:** حول وجود مكتبة بالروضة واحتوائها على العديد من قصص الأطفال.

الإحتمالات	التكرارات	النسبة
نعم	50	99.99%
لا	00	00%

يلاحظ من خلال الجدول أن كل معلمات، – أفراد – العينة يقرّون بنسبة ٩٩,٩٩% على وجود مكتبة بالحضانة، وهي مُزوَّدة بالعديد من قصص الأطفال.

– **الجدول رقم ٢:** المواضيع القصصية المتوفرة بمكتبة الحضانة.

المواضيع القصصية	نسبة توفّرها
الديني	05%
الاجتماعي	06.50%
الوطني	03%
العلمي	02%
التاريخي	02.50%
الخيالي	20%
الخيال العلمي	03%
الحيواني	25%
الشّعبي	10.25%
الفكاهي	17%
التمثيلي	15%

يتبيّن من الجدول أنّ كلّ المواضيع القصصية متوفرة بمكتبة الحضانة بنسب متقاربة، غير أنّ هناك خمسة مواضيع متوفرة بكثرة؛ وهي على الترتيب: المواضيع الحيوانية بنسبة ٢٥%، ثم الخيالية بنسبة ٢٠%، ثم الفكاهية بنسبة ١٧% ثم

التمثيلية بنسبة ١٥%، ثم المواضيع الشعبية بنسبة ١٠,٢٥%، وهي المواضيع المفضلة كثيراً لدى أطفال مرحلة الطفولة المبكرة (رياض الأطفال).

– **الجدول رقم ٣:** درجة إقبال الأطفال على سماع القصص.

درجة الإقبال	نسبتها
كبيرة	60.48%
متوسطة	30.05%
صغيرة	09.47%

يَتَبَيَّنُ لنا من خلال الجدول، اهتمام الأطفال الكبير بسماع القصة بنسبة كبيرة تقدر بـ ٦٠,٤٨%، ما عدا القليل منهم بنسبة ٩,٤٧%، باعتبار القصة مصدر من مصادر إشباع رغبتهم في المعرفة، وهذا طبعاً حسب شخصية كل طفل ومدى حبه للقصص.

– **الجدول رقم ٤:** المواضيع القصصية التي يفضّل الأطفال سماعها.

المواضيع القصصية	نسبة الإقبال على سماعها
الديني	1.05%
الاجتماعي	3.45%
الوطني	2.5%
العلمي	0.95%
التاريخي	1.48%
الخيالي	22.84%
الخيال العلمي	1%
الحيواني	24.60%
الشعبي	10%
الفكاهي	17%
التمثيلي	15.13%

يَتَبَيَّنُ من خلال الجدول حبّ الأطفال الكبير للقصص الحيوانية بنسبة ٢٤,٦٠%، وهي التي يسمعونها ويختارونها بكثرة ومن بعدها الخيالية بنسبة ٢٢,٨٤%، ثم القصص الفكاهية بنسبة ١٧%، و ثم القصص التمثيلية بنسبة ١٥,١٣%، ثم القصص الشعبية بنسبة ١٠%، ومن بعدها تأتي نسب متقاربة لكل من القصص الدينية والاجتماعية والوطنية والخيالية العلمية، وفي الأخير تأتي القصص العلمية بنسبة ٠,٩٥%.

وكما هو واضح في الجدول رقم ٢، فإنّ مكتبة الحضانة، تزخر بكل الموضوعات القصصية، غير أنّه وعلى حسب ما قالته معلمات الروضة، أنّ هناك مواضيع قصصية يفضّلها الأطفال ويحبونها كثيراً دون مواضيع أخرى، فهناك موضوعات يُحِبُّها الأطفال ويحبّون إعادة سماعها في كل مرة، حتى أصبحوا يترؤّونها لبعضهم البعض، وأصبحوا يعرفون كل أحداثها،

وتأتي على رأس هذه القصص التي لا يملك الأطفال من سماعها: قصة ذات القُبعة الحمراء (ليلي والدئب)، والجدول السابق يبين لنا نسبة إقبال الأطفال على كل موضوع من القصص المتوفرة بمكتبة الحضانة.

– الجدول رقم ٥: العناصر القصصية التي تعجب الأطفال في القصص.

العناصر القصصية	نسبة الإعجاب بها
الرسمات	31.74%
الألوان	24.60%
حجم القصة	18.65%
العنوان	4.20%
الموضوع	7.93%
الغلاف	13.76%

يتضح من الجدول أن أطفال مرحلة الحضانة لا تعجبهم جميع العناصر القصصية، بحيث تختلف درجة إعجابهم من عنصر إلى آخر، إذ نجد أن أكبر نسبة تُعجبهم هي نسبة الرسومات، والتي بلغت ٣١,٧٤% وهذا بطبيعة الحال راجع إلى أن أطفال هذه المرحلة (مرحلة الطفولة المبكرة)، يفهمون القصة من خلال الرسومات التي تعبر عنها، خاصة إذا كانت هذه الرسومات ملونة بألوان زاهية ومبهجة، والألوان هي العنصر الذي يجذب الأطفال بعد الرسومات وذلك بنسبة ٢٤,٦٠%، وبعد الرسومات نجدهم يميلون إلى الحجم خاصة إذا كان كبيراً فيكون لافتاً للأنظار بنسبة ١٨,٦٥%، وكذا نجدهم يختارون القصص التي يكون غلافها جميلاً وجذاباً، وذلك بنسبة ١٣,٧٦%.

– الجدول رقم ٦: الغرض من استعمال القصة والشروط الواجب توفرها فيها.

الغرض من استعمال القصة	النسبة
للترفيه فقط	40%
لتعليم اللغة	20%
غرض تربوي	50%

نلاحظ من خلال الجدول أن المعلّات بالروضة يستعملن القصة كوسيلة تربوية أولاً بنسبة ٥٠%، ثم كوسيلة للترفيه بنسبة ٤٠%، لأن أطفال الحضانة أغلبهم تتراوح أعمارهم بين ثلاث (٠٣) سنوات وأربعة (٠٤) سنوات، بعد أن وُجّه أطفال الخمس (٠٥) سنوات إلى مرحلة التعليم التحضيري، فهم يحتاجون في هذه السن إلى التربية أولاً وإلى الترفيه ثانياً، أما تعليم اللغة فترى المعلّات أنه أصبح من اختصاص مرحلة التعليم التحضيري، وهذا لا يعني عدم اهتمامهم بهذه النقطة، فهنّ تزيّن حضور هذا الغرض (تعليم اللغة العربية) بأقل نسبة من غرضي التربوي والترفيهي. وهذا طبعاً حسب حاجة الأطفال وحسب أعمارهم، وكذا نموهم الفكري، حيث جاءت نسبة تعليم اللغة ٢٠%. ومن الشروط الواجب توفرها في القصة المنتقاة، والتي سجلناها من خلال الإجابات المختلفة على كل استمارة هي: – أن تكون الفكرة التي تدور حولها القصة واحدة وبسيطة وجيدة.

- أن تكون القصة قصيرة أي ذات موضوع قصير.
- أن يكون موضوع القصة مُميّزاً وشيقاً ومُلفتاً للانتباه.
- أن يكون موضوع القصة سهلاً وواضحاً.
- أن تحتوي القصة على رسومات كثيرة من أجل توصيل الفكرة بصورة أسرع.
- أن تكون رسومات القصة ملوّنة بألوان زاهية ومبهجة، ومن الأحسن أن تكون الألوان الأساسية هي: الأصفر، الأزرق، الأحمر، الأخضر، وهي الألوان التي كان لها التّصيب الأكبر في رسومات القصة.
- أن تكون الكلمات في القصة قليلة، وذلك من أجل تسهيل فهمها من طرف الأطفال.
- **الجدول رقم ٧:** الأسس التي يقوم عليها اختيار القصة للأطفال.

اختيار القصة	النسبة
اختيار عشوائي	3%
حسب ميولات الأطفال	38.85%
الاعتماد على أسس تربويّة	58.15%

نلاحظ من خلال الجدول، أن المعلّمت يعتمدن في اختيارهن القصص للأطفال على أسس تربويّة بنسبة ٥٨,١٥ %، وفي بعض الأحيان يعتمدن على ميولات الأطفال بنسبة ٣٨,٨٥ %، أمّا الاختيار العشوائي فقليلاً ما يحدث، حيث تواتر بنسبة ٣ %.

وفيما يخص طرق رواية القصة للأطفال ودرجة التّركيز عليها، تبيّن من خلال تفريغ بيانات الاستمارة، أنّ كلّ الأطفال يهتمّون بالكيفيّة التي تلقى بها القصة، وهذا من خلال الإجابات التي كانت كلّها بـ "نعم" حول طريقة الابتكار والتنوع في أساليب القراءة، كما لاحظنا أنّ كلّ المعلّمت يُركّزن على هذه النقطة، والتي هي الابتكار والتنوع في طرق رواية القصة. وبالنسبة للتقنيات والخطوات المعتمدة في عرض القصة للأطفال، فقد أجمعت كل أجوبة الاستمارة على الآتي:

- تغيير جلسة الأطفال كأن يُحيطوا بالمعلّمة وهي تروي لهم القصة، فُتجلسهم على شكل دائرة.
- إدراج الموسيقى في بعض الأحيان.
- الرّفع من الصّوت وخفض منه بحسب مشهد القصة.
- تقليد أصوات الحيوانات لرواية القصة على أحسن وجه.
- الاعتماد على صور ورسومات القصة وتبيينها للجميع.
- رواية القصة باستعمال الألعاب، والدُمى والإشارات.
- أما الأهداف التّربويّة التي يكتسبها الطّفل من خلال سماع القصة، فكانت كالآتي:
- تزويد الأطفال بالمعلومات والحقائق وتوسيع دائرة ثقافتهم، وغرس القيم والمبادئ التّربويّة السّليمة فيهم.
- تنمية ثرواتهم اللفظيّة والفكرية وكذا تطوير ملكاتهم التعبيرية.

- تصبح لديهم القدرة على التخيل والإبداع والابتكار.
- تصبح لديهم القدرة على التفريق بين القيم التربوية وغير التربوية.
- تربية الحاسمة الدوقية لدى الأطفال مما يجعلهم قادرين على الاستمتاع بشئ مظاهر الجمال في الكون والطبيعة من نباتات وحيوانات ...
- تقليد الشخصيات البطلة في القصص والتأثر بها ومحاولة تمثيل الأدوار بعد كل قصة.
- تحقيق المتعة والترفيه للأطفال وإسعادهم.
- تنمية مهارات (قدرات) الاستماع لدى الأطفال وآدابه.
- اكتساب المفردات اللغوية وكذا التمييز بين الأفكار الصحيحة والخاطئة.
- تهدف القصة إلى مساعدة الأطفال على التحكم في المشكلات النفسية المختلفة.
- وبالنسبة للمقومات الفنية الأساسية للقصة في مرحلة رياض الأطفال، تراوحت معظم إجابات الاستمارة حول المقومات الأساسية، التي يجب أن تتوفر في كل عمل قصصي، وهذه المقومات تتمثل في العناصر الآتية: (الموضوع، فكرة القصة، البناء والحبكة، الحوار، الصراع، العقدة، الشخصيات ...).

خاتمة:

تعدّ مرحلة رياض الأطفال (مرحلة الحضانه)، من أهم المراحل العمرية، التي يمرّ بها الفرد في حياته، وتكمن أهمية تلك المرحلة في كونها ليست مرحلة إعداد للحياة المستقبلية فحسب، وإنما أيضا مرحلة لنمو الفرد من جميع النواحي، ففي ضوء ما يتلقاه من رعاية وتنشئة اجتماعية وما يكتسبه من خبرات في تلك المرحلة تتحدّد معالم شخصيته في المستقبل. وتشير الدراسات إلى أنّ مرحلة الروضة مرحلة أساسية في العملية التربوية، فهي فترة حاسمة في حياة الطفل لبناء شخصيته، وتكامل جوانب نموه الأساسية من جسميّة وحركيّة، وعقليّة وإدراكيّة، ولغويّة وانفعاليّة، واجتماعيّة وحلقية وروحية، فهي مرحلة لها بالغ الأثر في حياة الطفل، وكذا في تكوين شخصيته في المستقبل. ومن هنا تُعدّ فترة الروضة من أهم فترات الحياة الإنسانية، وأنّ التعلّم في السنوات الأولى يشكّل الأساس الذي يقوم عليه التعلّم في المراحل اللاحقة.

والأطفال في هذه المرحلة يريدون أن يعرفوا قصصاً عن الحياة والبيئة المحيطة بهم، ويشتدّ ميلهم إلى المحاكاة والتقليد ولعب الأدوار، فيمثلون القصص التي يسمعونها، ومن هنا تبرز أهمية القصة وما لها من دور في هذه الفترة، لذا حاولنا من خلال هذا البحث تحري الدقة والتّركيز في إعطاء نفس جديد لأحد جوانب أدب الأطفال، والذي عانى في بلادنا من الإهمال والتهميش، وقد خلصنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- إنّ أدب الأطفال بصفة عامّة والقصة كأحد أنواعه على وجه الخصوص وإن لاقت العناية والاهتمام من قبل الباحثين والدّارسين، فاهتمامهم بها كان بالنظر إلى غاية في ذاتها، فقد نظروا إليها على أنّها الموجه والمقوم لسلوك الفرد (الطفل) متناسين بذلك الأسس والمعايير التي يقوم عليها هذا الأدب (فن القصة)، الذي من شأنه أن يؤثّر في سلوك الطفل، أو عليه وذلك حسب جدية ممارسته والتزام تقنياته.

- الفن القصصي هو علم له مناهجه وطرقه التي يبعث بها رسائله إلى المتلقين/ الأطفال، في حلّة معيّنة تشترك في بنائها مستويات ثلاث هي: اللغة، المضمون والشكل.
- إنّ الكتابة للطفل ليست بالأمر الهين، بل تعدّ من أصعب الأمور وأعقدها، لأنّ الكاتب، أو الأديب يجد نفسه يتعامل مع كائن رقيق حسّاس، يصعب فهمه وإفهامه.
- معظم قصص الأطفال تدور حول محور القيم، فهي إلى جانب الترفيه تحمل بين طياتها أهدافاً تربويّة تسعى إلى تحقيقها.
- إنّ القصص المختارة في رياض الأطفال راعت كلّ شروط الكتابة القصصيّة، كما أنّها أدّت هدفها وهذا ما لاحظناه من خلال تجارب الأطفال معها وشغفهم بها.
- وأخيراً يجب أن نُؤوّه بأنّ قصص الأطفال في الجزائر بدأت تحت الخطي إلى الأمام، بالرغم من النقائص التي تكتنفها، كالتهميش والإهمال اللّذين يعانیهما هذا النوع الأدبي، وفي هذا الصدد نشير إلى ضرورة النهوض بأدب الطفل بمختلف أجناسه النثرية والشعرية، ومحاولة رسم من خلاله ملامح رجل الغد.

الهوامش:

- ١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم. (١٩٨٨). لسان العرب. مادة (طفل). مج٢. بيروت: دار الجيل ودار لسان العرب.
- ٢- الأسعد، عمر الأسعد. (٢٠٠٣). أدب الأطفال. ط١. الأردن: عالم الكتب الحديث.
- ٣- حلاوة، محمد السّيد. (٢٠٠٢، ٢٠٠٣). مدخل إلى أدب الأطفال. الإسكندرية.
- ٤- الجلولي، العيد. (٢٠٠٣). النص الأدبي للأطفال في الجزائر. الجزائر: بمساهمة ولاية ورقلة تحت إشراف مديرية الثقافة.
- ٥- الرباوي، محمد عودة. (٢٠٠٣). في علم النفس الطّفل. الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- ٦- القرآن الكريم، (١٤٠٤هـ). برواية حفص. ط٦. دمشق: دار الفكر الإسلامي.
- ٧- سلام، أبو الحسن. (٢٠٠٤). مسرح الطّفل. ط١. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- ٨- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (دت). قاموس المحيط. ج٤. بيروت: دار الجيل.
- ٩- مرتاض، عبد الملك. (١٩٨٣). فنون النثر الأدبي في الجزائر (١٩٣١-١٩٥٤). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.